بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

موضوع المسلمين فى أوربا الجنوبية ، جدير بالبحث الدائم والتقصى الدائب ، فهو إحدى صفحات التاريخ العربى المشرق فى الأرض الأوربية ، وفى مياه البحر المتوسط ، شوهها بعض كتاب الغرب المعاصرين لها ، وأغلبهم من الرهبان المتعصبين ، فنسبوا إلى العرب أعمالا هى أقرب إلى القرصنة منها إلى الأعمال الحربية الصحيحة ، وقد اعترف بمبالغاتهم الكثير ممن نقل عنهم من كتاب الغرب ، منذ القرن التاسع عشر .

فلو أن الفتوح الإسلامية فى الأرض الأوربية ، كانت مجرد أعمال عسكرية ، لما وضحت تلك الآثار البعيدة المدى فى الحضارة العربية عامة . يقول بعض المنصفين من كتاب الغرب أمثال لوبون :

« كان فضل العرب فى الغرب عظيما ، وإليهم يرجع الفضل فى حضارة أوربا » .

وقال غيره :

« لو حذف العرب من التاريخ ، لتأخرت نهضة الآداب عدة قرون » .

وعن دوزى :

« تاه الناس فى دياجير الجهل ، بينما سطع النور من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وصناعة وآداب » .

وما أعتقد أن عملا عسكرياً بحتاً وفتحاً حربياً خالصاً ، هدفه النفع والمغنم ، يؤتى مثل هذه الثمار ، التى هى من صميم أعمال السلم .

والفتوح العربية الإسلامية ، تختلف اختلافاً كبيراً عن الغزوات الجرمانية ، وحسبنا دليلا أن الشعوب الأوربية الحديثة ، وأصول أغلبها من الجرمان ، نعتت الفترة التى اشتد فيها الغزو الجرمانى ، على أثر تحطيم روما أواخر القرن الخامس الميلادى ، بالعصور المظلمة ، وامتدت هذه الحقبة إلى نحو خمسة قرون ونصف . أما الفتوح العربية الإسلامية فى أوربا أو فى أى مكان آخر ، فهى مايئة بالشواهد الحية الدالة على الروح الحقيقية لطبيعة هذه الفتوح : من تسامح وبناء وإصلاح وإيثار للسلم .

لقد كانت الإمبراطورية الإسلامية برمتها ، مثلا حياً لنظام سياسى قام فى أوربا وسيطر على حوادثها ، منذ مطلع القرن التاسع الميلادى ، ولم يلته رسمياً إلا فى مطلع القرن التاسع عشر .

يقول بريسى Bryce — وهو متعصب فى بعض كتاباته :—

« طالما أن النبى محمداً ، قد ترك ديناً واحداً وإمبراطورية واحدة وحاكماً واحداً ، ذا سلطة نافذة ، ألا وهو أمير المؤمنين ، فما أحوج الشعوب المسيحية لمثل هذا التنظيم ولمثل هذا الحاكم القوى النافذ الكلمة التمس مثل هذا التنظيم ومثل هذه السلطة الواحدة ، ذات الشق الروحى ،

عند سيد الفرنجة « بطل العقيدة وحامى المسيحية » ، ألا وهو شارلمان ، فكانت الإمبراطورية الغربية ، وهى التى اشتهرت منذ القرن الثانى عشر الميلادى باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

والخلاصة :

إن الفتوح العربية الإسلامية فى الأرض الأوربية ، وإن انتهت سياسياً وحربياً ، إلا أنها لم تلته حضارياً وإنسانياً . وهذا هو الفتح الحقيق ؟

ابراهيم على طرخان